بسم الله الرحمن الرحيم

تأسس برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى أبريل 2002، استناداً إلى خطة علمية حددت دوافع هذا التأسيس وأهداف البرنامج على النحو التالى:

1. **دراسة الإطار النظرى لموضوع البرنامج "العلاقة بين الحضارات" لتسكينه فى موقعه من المنظورات الراهنة لدراسة العلوم السياسية بفروعها المختلفة، وفى تقاطعها وارتباطها مع علوم اجتماعية أخرى. فإن تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية–الحضارية، ومن ثم الأبعاد القيمية بمصادرها المختلفة (وفى قلبها الدين) يعد من أهم سمات المنظورات الغربية الراهنة، مما أوجد مساحة مشتركة مع منظورات حضارية أخرى وعلى رأسها الإسلامى.**
2. **رصد وتحليل المدارس النظرية والاتجاهات الفكرية المتنوعة (القومية والليبرالية والإسلامية) فى الموضوع، وتقديم ملخص جامع مقارن لأسانيد كل من هذه المدارس والاتجاهات من حيث تأصيل مفهوم الحضارة والحوار والصراع، ومن حيث تأصيلها لأصل العلاقة بين الحضارات ومن حيث رفضها أو قبولها لفكرة حوار الحضارات، ومن حيث البدائل المطروحة لهذه الفكرة.**
3. **رصد المبادرات العملية المطروحة فى ساحة حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان – خلال العقد الماضى– وتقويم آليات تطبيق الفكرة بصفة عامة أو فى مجالات نوعية وقضايا محددة سواء على مستوى المنظمات الدولية أو الحكومات أو المنظمات غير الرسمية الدولية منها والوطنية. حيث إن ملتقيات الحوار ذات مستويات متعددة، منها الرسمى ومنها غير الرسمى، ومنها العالمى ومنها ذو النطاق المحدود إقليمياً أو وفقاً للقضايا محل الاهتمام.**
4. **تصميم سيناريوهات للدخول فى "حوار" من جانب الدائرة المصرية أو العربية أو الإسلامية مع دوائر ثقافية أخرى –سواء إسلامية أيضاً أو تنتمى إلى حضارات أخرى غربية أو شرقية على حد سواء. ويتطلب تصميم السيناريو الواحد –وبالنظر إلى طبيعة أطرافه– تحديد قائمة وأولويات موضوعات الحوار وقضاياه انطلاقاً من متطلبات وحاجات الدائرة المعنية أى العربية أو الإسلامية فى حوارها مع الدوائر الحضارية الأخرى (الأوروبية، الأمريكية، الروسية، اليابانية، الصينية، الهندية...).**
5. **الاهتمام بالبحث فى آليات وسبل تحقيق التنسيق والتعاون بين المنظمات العربية والإسلامية التى تدير مشروعات للحوار مع "الآخر" وعلى رأسها الجامعة ا لعربية ومنظمة**

المؤتمر الإسلامى، من ناحية، وكذلك بين الدول الإسلامية الكبرى (وعلى رأسها مصر، تركيا، إيران) التى تدير من خلال برامج وطنية حوارات مع "الآخر" أو فيما بينها (مثلاً الحوار العربى–الإيرانى والحوار التركى العربى).

واستجابة لهذه الدوافع والأهداف ، وفى ضوء متطلبات البيئة العلمية والعالمية المحيطة، التى جسدت تجدد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية وفى قلبها الأبعاد القيمية غير المادية للتطور البشرى وللتغيرات العالمية، كان لابد لهذا البرنامج أن يؤسس أنشطة خطته الخمسية العلمية على "تأصيل نظرى للعلاقة بين الدين – الثقافة – الحضارة " ليس كغاية فى حد ذاته فقط ولكن كسبيل أيضاً لتأسيس مجال للدراسات الحضارية فى العلوم السياسية ينطلق من البحث فى وعن آفاق منظور حضارى لدراسة الظاهرة السياسية فى أبعادها الداخلية والخارجية على حد سواء. كل هذا بدون انقطاع أو فقدان صلة بموضوع هذا البرنامج ومحور نشاطه ألا وهو العلاقة بين الحضارات حواراً وصراعاً.

ومن ثم كان مشروع "التأصيل النظرى" هو باكورة المشروعات البحثية الجماعية الممتدة التى قام عليها برنامج حوار الحضارات. ولقد استغرق تنفيذه نحو عامين ونصف (فبراير 2003 – أغسطس 2005). ولقد حفزت المبادرة **أ.د. منى أبو الفضل** الرائدة فى مجال الدراسات الحضارية على صعيد العلوم السياسية والمؤسسة لمدرسة المنظور الحضارى فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. ولقد أشرفت د.منى على إعداد ورقة عمل المشروع التى دشنت اجتماعات العمل المتطورة، كما رأست معظم هذه الاجتماعات وأدارتها بالتعاون مع أ.د.نادية مصطفى، ولقد حالت ظروف خاصة دون مشاركتها فى إعداد هذا التقديم لنشر أعمال المشروع.

ولقد شارك فى أعمال هذا المشروع إلى جانب الأساتذة معدى البحوث، عدد آخر من الأساتذة الذين أثروا النقاش فى الاجتماعات الدورية وكان لهم فضل المساهمة فى بلورة غايات المشروع ومخرجاته وهم أ.د. علا أبو زيد ، نائب مدير البرنامج حينئذ، أ.د. السيد عبد المطلب غانم ، أستاذ النظرية السياسية ، أ.د. مصطفى منجود ، أستاذ الفكر السياسي، أ.د. عبد الغفار رشاد أستاذ النظم المقارنة. كما ساهم فى بحوث المشروع – عن بعد – كل من د. رقية العلوانى، وأ.د. سيف الدين عبد الفتاح، وأ.د. حسن وجيه، كذلك ساهم فى الاجتماعات وأعمال البحث المساعدة عدد من شباب الباحثين المهتمين بالمداخل الثقافية والحضارية للعلوم السياسية وهم مدحت ماهر وأمانى غانم ومروة عيسى وأحمد خطاب وعلاء عبد الحفيظ.

مجمل القول كان المشروع البحثى الجماعى الممتد خبرة حية تفاعلية تبادلية، فنظراً لعدد المشاركين فيه وامتداده الزمنى فلقد كان ساحة تفاعل وتبادل للأفكار والآراء، ومعملاً لاختبار بعض المقولات والافتراضات أو إنضاج بعضها الآخر.

ولقد فرض موضوع المشروع – وجدته – هذا النمط من التفاعل ، كما ساعدت حماسة الأساتذة المشاركين على جعل هذا التفاعل خبرة متميزة على صعيد الجماعة العلمية للعلوم السياسية فى مصر، وفى انفتاحها على علوم أخرى مثل الدراسات الإسلامية والفلسفة والاجتماع والتاريخ وفلسفة الحضارات .

هذا ولقد تعددت مستويات التفاعل التبادلى عبر مراحل تطور المشروع، كما تنوعت بالطبع قضاياه واشكالياته، وعلى نحو أسفر عن بنية محددة لبحوثه . فلقد مر المشروع بخمس مراحل أساسية:

مرحلة التدشين (فبراير 2003– يونيو 2003) وبدأت بإعداد ورقة عمل تمهيدية أعدتها أ.د. نادية مصطفى على ضوء جلسة عمل ابتدائية شاركت فيها أ.د. منى أبو الفضل ود.أمانى صالح وأ.د.علا أبو زيد. وحددت هذه الورقة منطلقات المشروع وملامح منهج العملية البحثية ومحاور التأصيل وموضوعات كل منها، وطبيعة المنتج النهائى.

- وكان **المنطلق** الذى حددته ورقة العمل هو :

ضرورة الوعى بأن البحث فى الدراسات الحضارية ليس غاية فى حد ذاته فى نطاق هذا المشروع البحثى، ولكن لابد من تسكين هذا الموضوع فى إطار العلوم السياسية مع الاستعانة بتخصصات أخرى ، وعلى النحو الذى يسمح – من ناحية أخرى – بالربط بموضوع البرنامج الأساسى ألا وهو حوار الحضارات وصراعاتها. فالدراسات الحضارية المقارنة تتضمن أبعاداً متنوعة أحدها أنماط العلاقة التفاعلية بين المنتمين لتلك الحضارات عبر التاريخ والعوامل المؤثرة عليها. ولكن يظل المحك فى نظرنا كجماعة بحثية فى العلوم السياسية هو كيف يمكن توظيف هذه الدراسات فى تأصيل مجال للدراسات الحضارية فى نطاق العلوم السياسية، وكذلك كيف يمكن تطوير منظور دراسات حضارية لعلم السياسة ينطلق من الأبعاد الحضارية الثقافية كما تنطلق منظورات أخرى من أبعاد مادية عسكرية أو اقتصادية...الخ.

بعبارة أخرى كان المحك فى نظرنا هو الإجابة على السؤال التالى ما الذى يميز تناولنا لموضوع العلاقة بين الحضارات عن غيرنا من التخصصات؟ هل يتم ترك هذا المجال الدراسى، الدراسات الحضارية، لعلم التاريخ أو الاجتماع أو الفلسفة أم يجب أن يصبح لعلم السياسة دور فى هذا المجال؟ وكيف يمكن لهذا الدور أن يربط بين هذه التخصصات المعنية؟ ولماذا تبرز أهمية هذا الدور الآن فى ظل طبيعة المرحلة الراهنة من المراجعة فى حالة علم السياسة؟ ومن ثم تحدد هدف المشروع البحثى بأنه بيان كيف تكون الدراسات

الحضارية مجالاً جديداً فى الدراسات السياسية. وكان هذا يستلزم تقديم تصورات من متخصصى فروع العلوم السياسية الكبرى عن موضع البعد الحضارى والدراسات الحضارية من رؤى ومنظورات ونظريات هذا الفرع فى المرحلة الراهنة من تطور حالة العلم، وهى المرحلة التى تشهد الجدل حول دوافع ومبررات وأشكال الاهتمام بالبعد الحضارى الثقافى وأثره على التفاعلات السياسية الداخلية منها والعالمية، وما إذا كان هذا البعد عاملاً من العوامل المفسرة أم مجرد أداه من أدوات إدارة السياسات.

ومما لاشك فيه أن اتجاهات هذا الجدل تتشكل باختلاف الأنساق المعرفية والمنظورات. فمن رافض للعامل الحضارى ودوره نظراً لانتمائه إلى مجالات معرفية أخرى غير العلوم السياسية، نجد من يرى أن منظوراً حضارياً لعلم السياسية يساعد على معالجة أكثر من أمر: مثلاً تفتت علم السياسة على نحو بدء يشكك فى وجود ما يسمى علم السياسة، فى نفس الوقت الذى انفصل فيه علم السياسة عن التاريخ والاجتماع والفلسفة.. ومن ثم فإن التأصيل للمنظور الحضارى يحقق ما يلى: إنهاء الفصل بين التاريخ والاجتماع والسياسة، والتأصيل للأنساق المعرفية المتقابلة وموقفها من صناعة العمران، حيث إن مجال الدراسات الحضارية تتقاسمه أنساق معرفية متقابلة (إسلامية ووضعية) ومداخل مختلفة (فلسفية ، تاريخية).

خلاصة القول فإن المشروع وفق هذا المنطلق كان يتطلب محوراً تمهيدياً يقدم تأصيل مجال الدراسات الحضارية فى فروع العلوم السياسية سعياً نحو منظور حضارى لدراسة علم السياسة .

وبعد عملية تسكين البعد الحضارى فى مجال فروع العلوم السياسية كان لابد وأن تبدأ عملية التأصيل النظرى. **وعن منهج هذه العملية ومحاور التأصيل** فهى تنطلق من قراءة نقدية تراكمية فى الأدبيات المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات أو مجال الدراسات الحضارية من منظورات متقابلة فى نطاق علم الفلسفة، التاريخ، الفكر، أوالأدبيات التى قدمت دراسة فى النماذج الفكرية. وعن المحاور التى يتم على ضوئها هذه القراءة المقارنة التراكمية فهى تنقسم بين مجموعات ثلاث: المفاهيم، العلاقات والعمليات، الفواعل، وكانت كالآتى:

المجموعة الأولى وتتضمن الموضوعات التالية:

موقع الدين من الأثر على الثقافة والحضارة، الفارق بين الثقافة والحضارة : أهمية الرمز الحضارى، النماذج الحضارية: قواعد التشكيل، الخصائص، الأسس.

المجموعة الثانية، من موضوعاتها ما يلى :

أنماط العلاقة بين الحضارات والثقافات (الحوار ، الصراع، الصدام، التعارف ، التثاقف، التسرب، النفاذية Culture filter)، مفهوم الحوار: الدوافع ، الأهداف ، الشروط، الآليات، الأنماط، مفهوم الصراع: الدوافع ، الأهداف ، الشروط ، الآليات ، الأنماط.

المجموعة الثالثة تطرح الموضوعات التالية :

العلاقة بين الأنا والآخر: النظريات والرؤى من انساق معرفية متقابلة ومنظورات متقابلة (التعددية ، الهيمنة)، الآخر فى فكر وحركات الاصلاح فى الأديان السماوية الثلاثة.

ولقد أثار مضمون بعض المحاور نقاشاً طرح بعض الاشكاليات الهامة، ومن أبرز هذه المحاور: محور العلاقة بين الأنا والآخر، فلقد طرح الأسئلة التالية :

- هل الآخر هو المختلف فى الدين أم يمكن أن يكون مشابها فى الدين؟ هل الآخر هو المخالف فى المنظور للدين كمنهج علوى أو منهج دنيوى و صناعة بشرية؟ هل الآخر هو الحضارة الغربية ، والأنا هو الحضارة الإسلامية؟ ما هو مستوى هذا الآخر وهذه الأنا: الفرد / الجماعة (الأمة)، الاجتماعى / الدينى، المعرفى / الإنسانى ،الكونى / المقدس؟
- ما هو نمط العلاقة بين الأنا والآخر: التعددى / المهيمن ،الاستيعابى / الإقصائى، التراكمى/ الاستعلائى؟

وأخيراً هل يجب الأخذ بهذه الثنائية (الأنا والآخر) بالرغم من أنها ثنائية استبعادية انطلقت وتأسست من فكرة هيمنة الذات الغربية على الأنا المختلف؟ أم أن هذه الثنائية القائمة الذائعة ذات الجذور القديمة تقتضى وتستلزم قراءة نقدية على ضوء دلالة الأنساق المعرفية المتقابلة مع استدعاء النماذج التاريخية التى توضح العلاقة بينهما فى ظل مراحل أو عصور كل من الهيمنة الإسلامية والهيمنة الغربية ؟.

وعبر 4 أشهر استغرقتها هذه المرحلة التدشينية، توالت الاجتماعات التحضيرية (ثمانية اجتماعات) جرت خلالها مناقشة **عدد من القضايا والاشكاليات المعرفية والمنهجية والنظرية** كان من أهمها ما يلى:

- أسباب الاهتمام الراهن بالمجال الحضارى فى العلوم السياسية على ضوء التغيرات الرئيسية العالمية والظواهر الجديدة التى لم تعد الإطارات الفكرية "الحداثية الوضعية" قادرة على تقديم تفسيرات كاملة لها، مما فرض تجدد الاهتمام بأساليب جديدة تعيد للجوانب القيمية غير المادية أهميتها.

- العلاقة بين الدين وبين الثقافة والحضارة.
- الفارق بين مجال الدراسات الحضارية وبين المنظور الحضارى .
- أسباب الحوار أو الصراع بين الثقافات والحضارات، ومسئولية الأنساق المعرفية المتقابلة من ناحية والاختلاف حول موضع العقل من العلم وموضع القيم من العقل والعلم من ناحية أخرى. وكذلك مسئولية حالة توازن القوى بين هذه الثقافات والحضارات ومدى تسييس العوامل الدينية – الثقافية الحضارية وأنماط توظيفها السياسي.
- موضع المشروع البحثى من خطة عمل برنامج حوار الحضارات خلال الأعوام التالية.

ولقد كانت النقاشات عبر هذه الاجتماعات التحضيرية الثمانية من الكثافة والعمق والتعدد والتنوع ما تعجز هذه السطور عن ترجمتها . ولقد أفضت إلى الاتفاق على بنية المشروع البحثى .

وتنقسم أعمال المشروع بين سبعة محاور:

– المحورالأول بعنوان " الحوار (منطلقاته المعرفية، آلياته، أهدافه، دوافعه)"، ويضم ثلاثة بحوث هى؛ "النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي فى أصول التنظير ودواعي البديل" للدكتورة منى أبو الفضل، " أسلوب الحوار، الدوافع ، الأهداف والشروط والآليات والأنماط" للدكتورة أميمة عبود، " أنماط تنقل الأفكار وآلياتها بين التفاعل والأسباب: دراسة حالة العلاقة بين عالم الغرب وعالم المسلمين" للدكتور سليمان الخطيب.

– المحور الثانى بعنوان " مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية"، ويضم خمسة بحوث هى؛ "مفهوم الآخر لدى الجماعات اليهودية الحديثة" للدكتورة رقية العلوانى، " مفهوم الآخر في الأديان التوحيدية" و"مفهوم الآخر فى المسيحية الكاثوليكية" للأب الدكتور كريستيان فان نسبن، " مفهوم الآخر في المسيحية المصرية" للأستاذ سمير مرقس، " المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) والموقف من الآخر" للقس الدكتور إكرام لمعى.

– المحور الثالث يتناول " الأنا والآخر من منظور قرآني" فى بحث للدكتور سيد عمر.

– المحور الرابع بعنوان "الثقافة والحضارة (مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي)"، ويضم بحثى "الثقافة والحضارة من منظور إسلامي" للدكتور فوزى خليل، و"الثقافة والحضارة والدين مقاربة للمفاهيم في الفكر الغربي" للأستاذ فؤاد السعيد.

– المحور الخامس بعنوان "العلاقات الدولية (البعد الديني والحضاري)"، ويضم بحثى "البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية" للدكتور عبد الخبير عطا، و" توظيف المفاهيم الحضارية في التحليل السياسي: الأمة كمستوى لتحليل العلاقات الدولية" للدكتورة أمانى صالح.

– المحور السادس يضم بحثاً بعنوان "حوار الثقافات (إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)" للدكتور حسن وجيه.

– وأخيراً المحور السابع يضم بحثاً بعنوان "العولمة والإسلام رؤيتان للعالم" للدكتور سيف الدين عبد الفتاح.

كما أفضت الاجتماعات التحضيرية إلى الاتفاق أيضاً على **أهداف وغايات المشروع وعلى المنهاجية العامة** لتأكيد الرابطة بين المشروع البحثى وبين قضية أنماط العلاقة بين الحضارات من واقع متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة سواء لأغراض عملية سياسية (تتصل بالعلاقة بين الغرب وعالم المسلمين) من ناحية أو لأغراض معرفية وفكرية (تتصل بعمليات المراجعة الراهنة فى النموذج المعرفى للعلوم الاجتماعية والإنسانية القائمة على مشروع الحداثة والعلمانية والوضعية) من ناحية أخرى.

من أهم القواعد العامة عن أبعاد المشروع وغاياته:

ضرورة الوعى بالعلاقة بين دوائر ثلاث للبعد الحضارى ووضعه على صعيد كل منها:

- الدائرة الأولى؛ تثير وضع البعد الحضارى – الثقافى فى العلوم الاجتماعية بصفة عامة والعلوم السياسية بصفة خاصة، سواء على نطاق محدود أم على نطاق واسع يرسم خريطة متكاملة الأبعاد لهذا الوضع .
- الدائرة الثانية؛ تثير قضية تأصيل مجال الدراسات الحضارية وتطوير منظور حضارى للعلوم السياسية.
- الدائرة الثالثة؛ تثير وضع الاهتمام بالبعد الحضارى لعلاقته بمجال أو موضوع حوار الحضارات أساساً.

هذا ولقد حددت د.منى أبو الفضل العلاقة بين هذه الدوائر على النحو التالى:

"والتحدى ليس هو التسكين للدراسات الحضارية فى حقل العلوم السياسية، ولكن تطوير منظور العلوم السياسية ذاته انطلاقاً من أهمية البعد الحضارى الآن. وهذا يرتبط بمراجعة الحقل من منظور حضارى. وهذه المراجعة ليست مستحدثة تماماً لأن هناك تقاليد سابقة قدمها أ.د.حامد ربيع. إذاً لدينا أسس للبناء عليها وهى أسس أصيلة، وهى استجابة لتحدى

مسار الوضعية الذى اتسمت به المدرسة الأمريكية، فى حين أن أ.د.حامد ربيع نبت فى أحضان الحضارة الأوربية حيث الحس الحضارى، واكتشف الإسلام الحضارى خلال دراسته فى الأديرة الإيطالية... وبعد مجال النظرية والفكر مع د.حامد ربيع جاء دور النظم مع إسهام منى أبو الفضل فى التعامل مع النظم العربية من منطلق حضارى وليس من منطلق المصادر الأمريكية . إذاً لدراسة السياسة لدينا أصول للنظرية والمنهاجية تمت ممارستها على التوالى من فرع إلى فرع وصولاً إلى العلاقات الدولية . وكان مولد المنظور الحضارى للعلاقات الدولية عند هانتنجتون وهو تطور لجذور فكره فى مجال النظم المقارنة، حيث استبطن موضوع موضع الدين من التكوين الثقافى وأثره على النظم الديمقراطية....

إذاً اهتمامنا ليس تلمس البعد الحضارى والمنظور الحضارى لدى الغرب فقط ولكن تطوير منظورنا الحضارى فى هذا المجال، لأن البعد الحضارى موجود سابقاً ولكنه كان مستبطناً (implicit) فى المنظور الغربى وفى خلفيته، ثم بدأ يبرز ويتجدد الاهتمام به. فلقد كانت العلوم السياسية متأخرة فى إدراك البعد الحضارى بالمقارنة بحقول معرفية أخرى.

... حينما أتحدث عن المنظور الحضارى لا أقصد فقط الاسلامى ولا أبدأ بالاسلامى ، ولكن أبدأ بالوعى بالبعد الحضارى، وحين البحث فيه أصل إلى الاسلامى مقارناً بغيره . وقد يكون المدخل مادياً حضارياً وليس بالضرورة الدينى فقط. وهو موجود بالغرب ويعبر عنه بمداخل عديدة، ولكنه لدينا يعبر عن مفترق طريق. ومن هنا تأتى أهمية التأصيل لمنظور حضارى من الإسلام أو غيره، وهو ليس تأصيلاً للإسلام والمسلمين ولكن للعالمين.

- وعن وضع المشروع البحثى فى نطاق الخطة العلمية لبرنامج حوار الحضارات وعلاقته بوضع البعد الحضارى فى العلوم السياسية والاجتماعية من ناحية، وبمنظور حضارى للعلوم السياسية من ناحية أخرى، حددت د.نادية مصطفى النقاط التالية:

1- إن غاية المشروع هو التأصيل النظرى للعلاقة بين الثقافة والحضارة والدين على النحو الذى يخدم دراسات حوار الحضارات، حيث تتداخل المفاهيم ولا تتضح الأطر النظرية.

2- هذه الغاية تنطلق من العلوم السياسية، ومن ثم كان لابد من التساؤل عن وضع البعد الحضارى بصفة عامة من دراسة العلوم السياسية ، بحثاً عن وفهماً لوضع مجال حوار الحضارات فى الدراسات السياسية المعاصرة.

3- وحيث إن البعد الحضارى قائم فى مجالات معرفية أخرى ، وحيث تتقاطع الحدود بين هذه المجالات وبين مجال العلوم السياسية فى مرحلة تعالت فيها الدعوات إلى التعاون بين العلوم ، فلابد من الاستعانة بالتأصيلات النظرية عن الموضوع والتى قدمتها هذه العلوم.

4- الاهتمام بوضع البعد الحضارى فى العلوم السياسية والاجتماعية لا يعنى فقط البحث عن منظور حضارى إسلامى، لأن البعد الحضارى قائم الاهتمام به – ولو بمعان مختلفة – لدى التيارات والاتجاهات المتنوعة. ومن ثم فإن التأصيل النظرى المطلوب سيكون من منظورات مقارنة وليس من منظور حضارى إسلامى فقط.

5- لا يمكن أن نظل – على صعيد المنظور الحضارى الاسلامى – مكتفين بالدعوة إلى أهميته وضرورته ، ولكن يجب أن نمتد إلى ابعد من ذلك.ومن ثم فإن التأصيل النظرى للعلاقة بين الحضارة والثقافة والدين سيكون ساحة أساسية لبلورة إسهام المنظور الحضارى الاسلامى فى هذا المجال، ومن ثم يكون هو دعامة من دعامات مجال الدراسات الحضارية، ويصبح ذلك المجال بدوره نتاج ومحصلة عمليات عديدة .

المجموعة الثانية : المنهاجية العامة:

- أهمية الدراسات المنهاجية المقارنة على المستويات التالية: الأنساق المعرفية ، منظورات العلوم الاجتماعية ، الأديان والحضارات .
- التمييز بين الدراسات النظرية والفكرية والتاريخية ضرورى لتسهيل العملية البحثية ولكن دون قطع الصلة بين هذه المجالات .
- التمييز بين مستوى الابستمولوجيا ومستوى القضايا ومستوى العمليات ومستوى المفاهيم.
- غاية المشروع ليس مجرد القراءة فى الاتجاهات المقارنة حول موضوعاته والتى تقدمها الدراسات الحضارية المتنوعة، ولكن الغاية أبعد من ذلك وتمتد نحو الاجتهاد لتأسيس مجال دراسات حضارية فى نطاق العلوم السياسية.

ليست القضية قضية فى مجال اجتماع أو تاريخ أو فلسفة فقط ، ولكن هناك مجال دراسات حضارية فى حد ذاته وله مداخل مختلفة تعبر عنها مصادر أساسية فى كتب الحضارات ، حيث لكل منها مدخل خاص يخدم الدراسات السياسية ، كما هناك مصادر فى العلوم السياسية من مداخل حضارية . بعبارة أخرى هناك مجال دراسات حضارية يمكن تأسيسه من تقاطعات مصادر مختلفة سواء فى العلوم الاجتماعية أم كتب الحضارات .

ومع الاعتراف بأن مجال الدراسات الحضارية مجال تصب وتتقاطع عنده الأبعاد الحضارية فى العلوم الاجتماعية المختلفة ويجمع بين منظورات متنوعة، إلا أنه يظل للإمكانيات الزمنية والبشرية والمادية للمشروع تأثيرها الذى يدفع إلى ضرورة التمييز بين مشروع بحثى يكون نواة فى تأسيس مجال الدراسات الحضارية وبين مجال الدراسات الحضارية ذاته .

ولذا فإن على برنامج حوار الحضارات الاهتمام بمشروعات ثلاثة: النظرية، النماذج الفكرية، النماذج التاريخية؛ فهى خطوات تدريجية فى نطاق بناء هذا المجال.

- الحذر من المنهج الوصفى فقط ولكن السعى لاكتشاف طبيعة المنظومات المعرفية المتفاعلة وأثرها على موضوعات وقضايا حوار الحضارات والثقافات .
- إن التعامل مع الأدبيات الكبرى فى مجال الفكر والدراسات الحضارية، ليس هدفاً فى حد ذاته، ولكن يجب كسر الحلقة المفرغة من خلال عملية استحضار النموذج المعيارى خلال القراءة والاكتشاف للنماذج الفكرية للكتب التى نتعامل معها، وبذا نقدم ليس رصداً ووصفاً لفكرة ولكن نقدم استخلاصاً ودلالة لما يقدمه فكر ما من أدلة عن المنظومة التى ينتمى إليها معرفياً ، إذن هذا الفكر ليس مرجعية ، ولكنه ساحة وسبيل لاكتشاف حقيقته من خلال استكشاف Western intellectual tradition فى مقابل النسق التوحيدى. وكل هذا يخدم ويساعد الحوار الجارى الآن واكتشاف القواسم المشتركة بين المنتمين إلى حضارات مختلفة، فى محاولة للالتقاء حول قيم ، والبحث عن الجذرى فى التقاليد الغربية وأبرزها ، وتبين مدى قربها أو بعدها عن النسق التوحيدى وبذا نقوم بتفكيك الفكر الغربى والأنماط المعرفية الغربية.

هكذا حددت د. منى أبو الفضل – فى معظم الحالات – وكذلك د.نادية مصطفى القواعد المنهاجية العامة التى تفك الاشتباك بين مجال دراسات حضارية، وبين منظور حضارى ، وبين حوار الحضارات.

ولذا كان من المنطقى أن يبدأ هيكل المشروع البحثى بالمنطلقات المعرفية للحوار والتى قدمتها دراسة مستخلصة من دراسة جامعة شاملة أعدتها د. منى أبو الفضل فى بداية التسعينيات مؤسسة فيها لمنطلق أساسى فى مجال الدراسات الحضارية المقارنة ، ألا وهو "الأنساق المعرفية المتقابلة".

المرحلة الثانية من المشروع هى مرحلة إعداد خطط البحوث ومناقشتها جماعياً (أكتوبر 2003 – يناير 2004).

فلقد جرت خلال أشهر ثلاثة 4 اجتماعات لمناقشة هذه الخطط. تم خلالها اختبار مدى تحقق غايات المشروع وأهدافه، ومدى إمكانية تطبيق القواعد المنهاجية العامة، ومدى الاتساق بين موضوعات كل محور، ومدى التماسك فى بنية المشروع بأكمله، كما تم خلال هذه المناقشات معالجة منهاجية كل دراسة وكيفية استعانتها بالمصادر المتنوعة ، وكيفية رسم خرائط الأفكار وتقديم رؤى نقدية ورؤى بنائية تستجب لغايات وأهداف المشروع.

هذا ولقد شهدت المرحلة الثانية جهداً بحثياً موازياً ومكملاً ألا وهو الخاص بإعداد قائمة إصدارات فى مجال الدراسات الحضارية ، وفق مفاتيح البحث للتأصيل النظرى التالية: الحضارة وفلسفتها ، مفكرون كتبو عن الحضارة ، الحضارة الإسلامية، فلسفة التاريخ ، حوار الحضارات .

المرحلة الثالثة من المشروع هى مرحلة إعداد البحوث واستغرقت ستة أشهر حتى يونيو 2004 . وتمثلت المرحلة الرابعة فى ندوة جماعية تم عقدها فى سبتمبر 2004. ولقد اقتصرت على الأساتذة معدى البحوث (باستثناء د. رقية العلوانى ، وكذلك د. حسن وجيه و د.سيف الدين عبد الفتاح) حيث جرى عرض كل بحث ومناقشة هيكلة ومضمونه ونتائجه ، واستغرقت الندوة ثلاثة أيام مثلت حواراً معمقاً بين أعضاء فريق البحث وخاصة حول البحوث الخمسة المتصلة بالرؤى ذات المصادر الدينية اليهودية، المسيحية والإسلام عن العلاقة بين الذات والآخر.

وفى حين كان من المقرر أن يتم تقديم ثلاثة بحوث حول البعد الحضارى فى فروع العلوم السياسية ، العلاقات الدولية ، الفكر السياسي ، النظم المقارنة فلم يستطع كل من د. عبد الغفار رشاد ود.مصطفى منجود – لظروف خاصة – تقديم بحوثهما فى مجالى النظم والفكر على التوالى .

أما المرحلة الخامسة فلقد استغرقت بدورها ما يقرب من الأشهر الستة لإعداد الصيغ النهائية للدراسات بحيث تم فى صيف 2005 استلام جميع البحوث .

وأخيراً جرت عملية التحرير والمراجعة الفنية والعلمية للمشروع خلال الأشهر الأخيرة من عام 2005.

وإذا لم يكن بمقدور السطور السابقة أن تلخص حجم ونوعية النقاشات التى شهدتها المرحلتين الثانية والرابعة من المشروع وإذا كان من الممكن القول إن البحوث فى مجموعها تمثل تراكماً نوعياً لم يسبقه فى حدود علمنا (فى دائرة النشر العربية) مجهود جماعى مناظر فى هذا المجال ، وبالرغم من إمكانية الاشتباك المعرفى أو الفكرى أو المنهاجى مع بعض البحوث من حيث مدى مراعاتها للقواعد المنهاجية العامة ، وبالرغم من إمكانية الاشتباك أيضاً مع منطلقات المشروع فى مجمله.

فإنه يمكن القول إن هذا المشروع كان تأسيساً لا غنى عنه لبرنامج حوار الحضارات . حقيقة استغرق تنفيذه ثم إعداده للنشر ثم الاتفاق على نشره وقتاً أطول بكثير مما كان مفترضاً له، إلا أن مخرجاته المعرفية والفكرية انعكست على مسار أنشطة برنامج جوار الحضارات وعلى خريطه بحوثه وملتقياته : فى مفهوم الحضارى، جدالات حوار صراع الحضارات فى ظل العولمة

، الخصوصية الثقافية ، اللغة والهوية وحوار الحضارات ، مسارات وخبرات فى حوار الحضارات ، العلاقة بين الدينى والمدنى والسياسي ، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، أوربا وإدارة حوار الثقافات الاوروميتوسطية، الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة تجاه العالم الاسلامى...الخ*.

فمما لا شك فيه أن تأصيل العلاقة بين الدين – الثقافة – الحضارة من منظور الأنساق المعرفية المتقابلة يمثل المنطلق سعياً نحو فهم وإدراك آليات ومسارات وجدالات حوار / صراع الثقافات والحضارات ، وفى قلبها العلاقة بين الغرب والعالم الاسلامى .

ومن ناحية أخرى فإن هذا المشروع البحثى التأصيلى إنما يمثل حلقة تستوجب استكمالها بحلقات أخرى من التأصيل النظرى أيضاً . ومن ثم فإن البرنامج يخطط لمشروع يأتى عن التحليل الثقافى سيقوم على تنفيذه فى خطته العلمية الخمسية الثانية (2007) وبعد أن اتخذ البرنامج مسمىً آخر وهو برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات.

أخيراً ، أقدم شكرى وتقديرى لنخبة الأساتذة الذين شاركوا فى أعمال هذا المشروع على عظيم تعاونهم خلال مراحل إعداد المشروع ، وعلى عظيم اهتمامهم به ودعمهم له. ويجدر توجيه الشكر أيضاً لمن يرجع لهم فضل آخر فى إخراج هذا المشروع . وأبدأ أ.د. طه جابر العلوانى رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية فى فرجينيا على مساعدته المادية والمعنوية لتنفيذ هذا المشروع وفق بروتوكول تعاون بين الجامعة التى يرأسها وبين برنامج حوار الحضارات .

كذلك أشكر أ.مدحت ماهر باحث العلوم السياسية وطالب الدراسات العليا المتميز على قيامه بأعمال تحرير البحوث والمتابعة الفنية والعلمية مع الأساتذة الباحثين وحتى تقديم الصيغ النهائية لدراستهم. كما أقدم شكرى للأستاذة علياء وجدى منسقة المشروعات فى البرنامج التى تولت تنسيق المشروع فنياً وإدارياً ومالياً فى مراحله المتعاقبة.

وفى النهاية شكر خاص للأستاذ عدنان سالم مدير دار الفكر العربى فى دمشق الذى تحمس لنشر أعمال هذا المشروع الضخم على نحو لم يتحقق من دور نشر أخرى. حيث كان لابد لمثل هذا المشروع أن تتعهده بالنشر دار ذات أفق فكرى رحب . ولقد استغرق الاتفاق على النشر قرابة الستة أشهر . وكانت محصله هذا الاتفاق هو نشر أعمال المشروع فى سلسلة كتب منفصلة بحيث تتضمن معظم الكتب بحوثاً محاور محددة ، كما تتضمن بعض الكتب بحثاً واحداً أو أكثر من أحد المحاور ... ولقد وافق برنامج حوار الحضارات على هذا النمط من النشر المتسلسل تسهيلاً على القارئ ، إلا أن المقدمة الجامعة للمشروع والفهرس التفصيلى له

* انظر قائمة أنشطة البرنامج وإصداراته (2002-2007) على موقعه www.hewaronline.net

فى كل كتاب يحققان الربط بين أجزاء المشروع ، حيث إنه يمثل بنية متكاملة ، تقدم فى حد ذاتها رؤية ومن بين عدة رؤى عن كيفية الاقتراب من تأصيل مجال الدراسات الحضارية انطلاقاً من العلوم السياسية وغيرها.

والحمد لله

د.نادية محمود مصطفى

مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات

(حوار الحضارات سابقاً)

القاهرة نوفمبر 2007